

قراءة في مضامين الكتابات الأثرية العربية بالمغرب الأوسط (الجزائر)

أ. د. / عبد الحق معزوز

مهد الآثار/ جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله

abdelhak.mazouz@univ-alger2.dz

الملخص:

يزخر المغرب الأوسط بكم كبير من الكتابات الأثرية العربية يمتد زمنها التاريخي على اثنتي عشر قرنا من الزمن، أقدمها يعود إلى الربع الأول من القرن الثاني الهجري، وأحدثها يرجع إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري. وتعد هذه النقوش بمثابة كتاب مفتوح يلقي المزيد من الضوء على زاوية من زوايا الأحداث التاريخية والحضارية التي عاشها الأفراد والمجتمعات في تلك الأزمنة الغابرة، كان من الصعب علينا الاطلاع عليها ومعرفتها، لولا تلك النقوش.

من هنا تجلت أهمية وقيمة هذه النقوش في الدراسات التاريخية والاجتماعية للمجتمعات التي انتجتها، فهي مرآة عاكسة لمختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية والعقائدية لتلك الجماعات، وذلك من حيث المعاصرة، والاصالة، والمصادقية بحكم معاصرتها لأزمنتها.

إنّ النقوش الأثرية العربية هي من التقاليد والممارسات القديمة التي يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام، ثمّ سار هذا النظام على النهج الاجتماعي الإسلامي الأصيل ممارسة وتنظيما وفق التقاليد التي جاء بها الإسلام عموما منذ النشأة إلى يومنا هذا بانتظام ومن دون انقطاع.

وقد ارتبطت هذه النقوش الأثرية بتطور ونمو المجتمع الإسلامي عامة والمغربي خاصة مع تطور عمليات التشييد المعماري والبناء الحضاري والثقافي. مع اختلافات طفيفة مرتبطة أساسا باختلاف الثقافات المحلية في كل قطر من أطار العالم الإسلامي، ولعل هذا التنوع في الثقافات هو الذي أثرى الحضارة العربية الإسلامية عامة والنقوش الثرية خاصة.

فالغاية من هذه الدراسة هي إلقاء الضوء على مضامين هذه النقوش وتتبع تطور صيغها وعناصرها في المغرب الأوسط من خلال أمثلة مختارة من النقوش التأسيسية والشاهدية والدينية والوقفية من مختلف العصور التاريخية التي عرفها المغرب الأوسط منذ الفتح إلى نهاية العصر العثماني

فهي ذات مصداقية عالية، إنّ محتواها الذي لا يقبل الطعن في صحته ولا في أصالتها الفنية. وهذه الكتابات تلقي الضوء على المجتمعات الميئة وعلى ساكنة مدن الأموات، كما تبرز في الوقت نفسه جانبا مما وصلت إليه الفنون (المقابرية) أو القبورية، وإسهاماتها في تطوير وتنوع الحضارة العربية الإسلامية عامة والمغرب الأوسط خاصة وذلك من خلال أشكال شواهد القبور المتنوعة وأنواع الخطوط العربية والعناصر الزخرفية، ومضامين الكتابات الشاهدية.

تتتمي هذه الكتابات لفترات تاريخية متعددة ولدول وأسر كثيرة، تداولت على حكم المغرب الأوسط مدة ثلاثة عشر قرن من التاريخ الإسلامي. بدء من القرن الأول الهجري الذي عرف أولى الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب العربي إلى نهاية العصر العثماني، (13هـ/19م). الكتابات الأثرية العربية شواهد مادية أثرية فنية، ووثاق تاريخية لا يمكن الطعن في صحتها ولا في سلامة مضامينها، وهذا الذي أكسبها المصداقية.

الكلمات المفتاحية: النقوش الأثرية؛ الكتابات العربية؛ شواهد القبور؛ الألقاب؛ الصيغ؛ المغرب الأوسط.

Résumé:

Le Maghreb moyen regorge d'un grand nombre d'inscriptions archéologiques arabes dont la période historique s'étend sur douze siècles. Ces inscriptions nous éclairent sur beaucoup d'aspects d'évènements historiques et le vécu des personnes et des sociétés durant ces temps immémoriaux. Sans l'apport de ces inscriptions, cette entreprise de visualisation et de compréhension des faits historiques, aurait été une mission ardue et semée d'embûches.

A cet effet, l'importance et la valeur de ces inscriptions étaient évidentes dans les études historiques et sociales des sociétés qui les ont produites, car elles représentent un miroir reflétant les diverses activités culturelles, sociales, politiques et idéologiques de ces groupes, en termes d'originalité, et de crédibilité, de par leur contemporanéité avec leur temps.

L'usage des inscriptions archéologiques arabes font partie des anciennes traditions et pratiques qui remontent à l'époque préislamique. Ce système suivait l'approche sociale islamique originelle, pratiquant et organisant régulièrement selon les traditions que l'islam a posé ses fondements depuis sa création à nos jours et ceci de façon pérenne.

Ces inscriptions archéologiques sont liées intrinsèquement au développement, et à la croissance de la communauté islamique en général, et de la communauté maghrébine particulièrement, avec l'essor de la construction architecturale et le développement urbain et ses facettes culturelles. Il est à noter les légères différences inhérentes aux spécificités de chaque groupe ethnique, et à sa culture qui reste en symbiose avec l'ensemble du monde islamique. C'est cette diversité culturelle qui a enrichie la contenance de la civilisation arabo-islamique, et les inscriptions incarnent par leur contenu un bon argumentaire.

Le but de cette étude est de mettre en évidence, en premier lieu, le contenu de ces inscriptions. En second lieu, il nous paraît essentiel de suivre leurs évolutions ainsi que de dégager les diversités dans le formulaire dans le Maghreb moyen. Nous étayerons nos propos à travers des exemples choisis parmi un panel d'inscriptions: fondatrices, religieuses, funéraires. Notre approche s'étalera de la présence musulmane au Maghreb moyen jusqu'à la fin de la présence ottomane.

منهجية البحث:

لقد اعتمدنا في بحثنا هذا على العمل الميداني، وذلك بقراءة كل الكتابات الأثرية التي تبين أن معظمها مركز في خمسة أو ستة مدن أهمها: مدينة الجزائر، وتلمسان، وقسنطينة، ثم تأتي في الأهمية الثانية كلا من مدنتي القلعة وبجاية، والباقي موزعة في المدن الأخرى ليست ذات أهمية كسطيف وبسكرة ووهران، وقد تم أثناء هذه العملية إحصاء ما يفوق خمسمائة كتابة أكثرها كتابات شاهدة، ثم تأتي في الأهمية الكتابات التسجيلية. ثم الزخرفية وأخيرا الوقفية. وبعد القراءة والتمحيص في النقائش استخرجنا جميع الصيغ بدءاً من من أول نقيشة من عصر الولاة إلى العصر الحمادي فالموحدوي والحفصي، فالمرابطي، والزياني المريني، إلى نهاية العصر العثماني.

وأما منهجية العمل فقد اتبعنا المنهج الميداني والذي نلخصه في النقاط الآتية:
- القراءة والتصنيف والتبويب، وأخيرا الدراسة والتحليل.

1- مقدمة:

يزخر المغرب الأوسط بعدد كبير من الكتابات الأثرية العربية يمتد زمنها التاريخي على اثنتي عشر قرناً من الزمن، أقدمها يعود إلى الربع الأول من القرن الثاني الهجري، وأحدثها يعود إلى بداية القرن الثاني عشر الهجري. وتعد هذه النقوش بمثابة كتابا مفتوحا يحكي جزء من الأحداث التاريخية التي عاشها الإنسان في تلك الأزمنة الغابرة، كان من الصعب علينا الاطلاع عليها ومعرفتها، لولا هذه النقوش الشاهدية.

ومن هنا تتجلى أهمية وقيمة هذه النقوش في الدراسات التاريخية والاجتماعية للمجتمعات التي انتجتها، فهي بمثابة المرآة العاكسة لمختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية والسياسية والعقائدية والدينية لتلك الأمم، ومن حيث أنها وثائق مادية معاصرة للأحداث فإنها تتميز بمصداقية محتواها وثقة معلوماتها، غير قابلة للطعن في أصالة نصوصها ويقين مضامينها، كما أنها تعدّ نبراسا تلقي الضوء على قسم من حياة ساكنة مدن الأموات، فضلا عن قيمتها الفنية والأثرية، وما يمكن أن تضيفه هذه الأخيرة لمدونة الحضارة العربية الإسلامية عامة والمغربية والجزائرية خاصة، وذلك من خلال تتبع الدراسة الفنية لأشكال الحروف المتنوعة وأنماط الخطوط والعناصر الزخرفية ومضامين النصوص بجميع أنواعها وأنماطها عبر مختلف العصور التاريخية.

2- الانتماء التاريخي والجغرافي لكتابات المغرب الأوسط:

تتنمي كتابات المغرب الأوسط لفترات تاريخية عديدة ولدول وأسر كثيرة، تناولت على حكم هذا البلد مدة ثلاثة عشر قرناً. بدايةً من القرن الأول الهجري الذي عرف أولى الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب العربي إلى نهاية العصر العثماني، (13هـ/19م). فمن القرن الثاني الهجري، لدينا نقيشة واحدة عثر عليها في تهودة بولاية بسكرة، تحمل اسم عبدالرحمن بن حيوة الحضرمي الحمصي يرجع تاريخها لسنة (126هـ/746م)، في عهد حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وولاية حنضلة بن صفوان الكلبي على بلاد المغرب (123-127هـ/724-728م)، وهو الذي خَلَفَ مَقْتَلَ كلثوم بن عياض القشيري¹ الذي قتل في ثورة البربر عام 123 هـ . 741م.

ومع أن هذه الكتابة تعتبر الوحيدة لحد الآن التي تعود للقرون الأربعة الأولى إلا أنها غنية من حيث عناصرها ومضمونها ومحتواها، ذلك أنها تشمل العناصر الأساسية لمضامين الكتابات الأثرية العربية السابقة واللاحقة، وتشكل الملمح الذي صيغت على نحوه فيما بعد الكتابات الأثرية خلال القرون الموالية سواء في العالم الإسلامي أو في المغرب الأوسط، حيث اشتملت هذه الكتابة على العبارات الافتتاحية، واسم ولقب الميت و نسبه، وتاريخ الوفاة، والدعاء له. وهي المكونات الأساسية للمضامين التي تشكلت منها الكتابات الأثرية العربية الشاهدية قبل وبعد الإسلام مع استثناء وحيد هو غياب البسمة والتصلية. وآيات قرآنية التي أضيفت فيما بعد لمثل هذا النوع من الكتابات.

ولعل أول وأهم مجموعة من الكتابات الأثرية العربية التي وصلتنا بعدد لا بأس به من حيث الكم والكيف معاً، هي تلك التي تعود إلى الفترة الحمادية (400-547هـ)، والتي يقدر عددها بحوالي عشرين كتابة منقوشة كلها بخط كوفي يتنوع جمال حروفه بين البساطة والتطور والرقي بابتكار أشكال وعناصر زخرفية لم تكن مستعملة من قبل، نفذت على مواد حجرية رملية، وجصية، ورخامية بنوعيه الأبيض والرمادي، كما تنوعت مواضيعها بين الشاهدية الزخرفية (الدينية) والتسجيلية التذكارية، وكل صنف تميز من غيره من حيث المضمون والمحتوى خاصة في توظيف القرآن الكريم، مما أثرى لغة

1- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج.1، دار الثقافة بيروت، ط. 2، 1400هـ/1980، ص. 52 وما بعدها.

الكتابات وعناصرها. وقد عرفت هاته الفترة استعمال عناصر جديدة مثل "البسمة وآيات قرآنية وتوقيع الصانع".

ومن العصر المرابطي(472هـ/545هـ) احتفظت لنا مساجد هذا العصر بعدد قليل من الكتابات التسجيلية والزخرفية (الدينية) لا يتعدى عددها أصابع اليد الواحدة، نفذت على واجهة المحاريب والمنابر والأبواب (كباب مقصورة الجامع الكبير) نفذت كتاباتها بخد كوفي جميل ذو مسحة بسيطة لكنه يعبر عن ذوق فني راق جدا بمظهره الخلاب يسر الناظر ويهش الأعين.

ومن العصر الموحي والحفصي(547-981هـ)، احتفظت لنا مدينة بجاية بمجموعة من الكتابات الشاهدية يقدر عددها بحوالي عشر كتابات نفذ معظمها بخط الثلث الجميل وخط النسخ وإثنان منها بخط كوفي متأثر بالكوفي الحمادي، نفذ جميعها بأسلوب الحفر البارز على مواد مختلفة كالرخام والحجر الكلسي، يرجع تاريخها إلى ما بين 635-647هـ. ومن أهم ما برز من عناصر في هاته الفترة توظيف الشعر في كتابة حفصية، هذا العنصر لم يكن مستعملا في الفترات السابقة.

ومن العصر الزياني (633-953هـ/1235-1554م)، وصلنا كم هائل من النقوش الكتابية بمختلف تخصصاتها ومواضيعها (شاهدية، تسجيلية تذكارية، زخرفية، يصعب حصرها لكثرة عددها، وهي تنتشر على الأبنية وخاصة في المساجد والأضرحة، وفي المقابر، والمتاحف، يقدر عددها بالمئات موزعة على فترة زمنية تقدر بأكثر من ثلاثة قرون، مواضيعها موزعة بين الشاهدية، والتسجيلية، والدينية، والزخرفية، والحُبس (الوقفية) التي يعود تاريخها للعهد الزياني والمريني). لعل أهم ما جاء في هاته الفترة هي الكتابات الوقفية التي انفردت بها مدينة تلمسان ولم تكن معهودة قبل ذلك وقد تضمنت كتابات الزيانيين قضائد شعرية بمختلف أنواعه (رثاء ومدح)، والحمدلة وعبارات التعوذ وشهادة التوحيد في الكتابات التسجيلية والشاهدية، فضلا عن ذكر أسباب الوفاة. نفذت بأنماط خطية مختلفة من الخطوط على غرار الكوفي، الثلث، والمغربي، والنسخي، على مختلف المواد كالحجارة والرخام والخشب والجص، نقشت بأساليب غائرة وبارزة.

ومن العهد المريني وردنا من الغرب الجزائري مجموعة من الكتابات التسجيلية والدينية الزخرفية والفلكية من مساجد ندرومة ومستغانم وتلمسان يمتد تاريخها إلى ما بين

سنتي 736-747هـ / 1336-1347م. حملت كتابات الفترة الزيانية والمرينية عناصر مشتركة جديدة لم تكن مستعملة في غيرها من الكتابات السابقة مثل "الحمدة" وعبارة وعبارات التقوى وأخرى عقائدية وسياسية. نفذت بأساليب الحفر البارزة على الجص والرخام. ومن العصر العثماني وصلتنا مجموعة كبيرة من النقائش الكتابية بعضها محفوظ في المتاحف والبعض الآخر ما يزال مثبت في مكانه على المباني أو في المقابر والأضرحة، وهي موزعة ومنتشرة في مختلف المدن الجزائرية. معظمها من مدينة تلمسان والجزائر وقسنطينة تنوعت مواضيعها بين الشاهدية والزخرفية، والتسجيلية، والوقفية. نفذ بعضها بخط الثلث الذي يعتبر الخط الرسمي للدولة العثمانية والذي دونت به أيضا معظم سجلاتها ودواوينها، كما خلدت به كل منشآتها المعمارية. والبعض الآخر من الكتابات ومعظمها شواهد قبور نفذ بخط النسخ أو بخط مغربي ركيك ومركب من حروف مغربية وأخرى نسخية، يفتقر إلى الإتقان والجودة، نفذت على مادة الجص في المحاريب، ومادة الخشب على المنابر والأبواب، والحجر والرخام والخشب بالنسبة للشاهدية. نقشت بأسلوب فني بارز، والبعض الآخر بأسلوب غائر، وبعضها بالرصاص بعد حفر حروف الكتابة ثم تملأ الأخاديد الغائرة بالرصاص وتلون بلون أحمر أو مرجاني أو باللون الأسود.

3- أنواع الصيغ:

يمكن تقسيم الصيغ حسب وظيفتها إلى أربعة أقسام كما جاءت في النقوش والكتابات العربية في العالم الإسلامي منذ البدايات الأولى للفتح الإسلامي، وذلك وفق طبيعة خصوصية كل نوع من هذه النقوش. على أن هذه الصيغ وإن اختلفت في بعض جزئياتها، كما سنبين ذلك لاحقا، إلا أنها لا تختلف كثيرا فيما بينها من حيث العناصر المكونة لها ولا من حيث وظائف هذه العناصر وهي كالاتي:

أ- **صيغ الكتابات التسجيلية:** وهي الصيغ التي تتعلق بالكتابات التاريخية الخاصة بإنجازات مشاريع بناء والعماير والطرق والجسور وغير ذلك من الإنشاءات المختلفة، والتي تتضمن عناصر وصيغا مناسبة لمثل هذه الأعمال. وقد يصل عدد صيغها إلى سبعة عناصر، وأقلها ثلاثة.

ب- صيغ الكتابات الشاهدية: وهي الصيغ التي تتعلق بالكتابات الشاهدية أي بتأريخ للأموات ونجدها على شواهد القبور، وتتضمن هذه الكتابات صيغا مناسبة لمثل هذا الحدث الجليل المؤلم سواء في الدعاء أو الآيات القرآنية المختارة لهذا الغرض. وصيغها قد تصل أحيانا إلى سبعة وأقلها ثلاثة صيغ "التعوذ والبسمة، وآية قرآنية".

ج- صيغ الكتابات الزخرفية (الدينية): ويقصد بها أشرطة الكتابات التي تزين جدران ومحاريب وقباب المساجد والأضرحة، والتي تتضمن آيات قرآنية وأدعية وعبارات وعظ تتشابه فيما بينها في كامل أنحاء العالم الإسلامي لأنها لا تتضمن سوى عناصر لا تتعدى الثلاثة على أكثر تقدير، وتتشكل من الآيات والأدعية وعبارات التقوى وأسماء الله الحسنى، وشعارات دينية وسياسية ومذهبية.

د- صيغ الكتابات الوقفية: ويقصد بها - كما يدل عليها اسمها- الكتابات التي تؤنق لقائمة العقارات والأغراض المحبوسة على المنشآت الدينية كالمساجد، أو الثقافية المدارس والزوايا، من طرف سلاطين وأمراء بني زيان. نذكر منها على سبيل المثال كتابة وقف مسجد أبي الحسن التنسي، وكتابة وقف السلطان الزياني أبي حمّو موسى الثاني على المدرسة اليعقوبية.

هـ- الصيغ غير الدينية: وتتضمن الشعارات ذات البعد السياسي والألقاب الفخرية والوظيفية والنعوت وغيرها، ومنها القوائد الشعرية النثرية بعضها يتعلق بمدح بناء ما أو منشأة معمارية كما هو الشأن في قصيدة يمدح فيها صاحبها منارة الجامع الكبير بالجزائر العاصمة التي تعود إلى العهد الزياني، وبعضها رثائية نجدها أيضا في كثير من الكتابات الشاهدية يرثي فيها أصحابها أحبابهم وأقاربهم مثلما هو الحال في إحدى الكتابات الشاهدية محفوظة بمتحف بجاية تعود للفترة الموحدية¹، وكذلك الشأن بالنسبة لبعض الكتابات الشاهدية الزيانية.

و- الصيغ الدينية: تتميز كتابات هاته الفترة الزمنية من تاريخ المغرب الأوسط، سواء النوع الأوّل تسجيلية إنشائية، أو الثاني، تذكارية شاهدية، أو الثالث (زخرفية دينية). بالتنوع والتعدد في الأسلوب والصيغ والسور وكذلك في تقنية النقش والحفر وإن كان

1- عبد الحق معزوز، لخضر درياس، جامع الكتابات العربية الأثرية بالجزائر، ج. 1.

معظمها على الجص والرّخام والحجر، والقليل منها على الخشب الذي استعمل في في العهد المرابطي في منابر مساجدهم وواحدة أو اثنتين من العهد العثماني بالجزائر كزاوية ابن محجوبة بقسنطينة.

وأما الدينية فنجدها في كتابات الجامع الكبير بقسنطينة والقلعة من العهد الحمادي ومساجد المرابطين بالجزائر وتلمسان وندرومة ومساجد الزيانيين والمرينيين بتلمسان ومساجد وجوامع والفترة العثمانية بالجزائر وقسنطينة ومعسكر. والتي يقارب عددها في المجموع الخمسين كتابة أو يزيد قليلا زينت بها أطر وكوات المحاريب وسندات المنابر وأشربة زينت بها جدران القبلة والنوافذ وقباب المنابر والمداخل وغيرها من المواقع داخل المساجد والزوايا والمدارس. ونظرا للعدد الكبير من هذه الصيغ القرآنية سوف نقتصر في أمثلتنا على أهمها فقط.

وأما الكتابات الشاهدية فهي كثيرة جدا مقارنة بالتسجيلية والدينية غير أن الصيغ الدينية المأخوذة من الذكر الحكيم قليلة أو غيرها كالأدعية وما إلى ذلك فهي قليلة التنوع والتعدد، ويتشابه بعضها ببعض تكاد تكون نفسها في جميع العصور مع اختلاف بسيط بزيادة أو حذف عنصر أو عنصرين بالنسبة للأدعية والتصلية.

وأما الكتابات التسجيلية فهي الأخرى لا تختلف كثيرا في تركيبة عناصرها عن الكتابات الشاهدية إلا في بعض الخصوصيات التي تتعلق بطبيعة الأثر.

ويدخل في مضمون الصيغ الدينية الصيغ الاستفتاحية (التعوذ والبسمة، الحمدلة، والتصلية، والشهادتان والآيات القرآنية، وعبارات دينية أخرى مثل عبارة نهاية قراءة القرآن "صدق الله العظيم".

ي - الصيغ الاستهلالية:

- **التعوذ:** الاستعاذة من الشيطان الرجيم نجدها في معظم الكتابات الدينية التي يكون فيها القرآن الكريم هو الموضوع الأساس (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم) وهذا امتثالا لقوله تعالى: «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (الآية 98 سورة النحل).

- **البسمة:** وهي آية من آيات القرآن الكريم، في قوله عز وجل في سورة النمل (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)، كما أن البسمة وهي آية قرآنية في المذهب

الشافعي¹. وجدت البسمة في مستهل كل الآيات القرآنية، والكثير من الكتابات الشاهدية والتسجيلية. وجاءت على صيغتها الأصلية كاملة في جميع أنواع الكتابات.

- **الحمدلة:** هي صيغة من أهم الصيغ الدينية المستعملة في الكتابات العربية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهي من العبارات المفضلة التي يستحب البدء بها، والحمدلة تعني التوجه إلى الله بالحمد والشكر والرضى، ولذلك يفضل الاستفتاح بها في الخطب الدينية والمراسلات، استنادا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم)².

ومما يلفت انتباه الدارس للكتابات العربية بالجزائر هو اختفاء الحمدلة في كتابات القرون الستة الأولى (الحمادية والمرابطية والموحدية والحفصية، ولم تستعمل إلا ابتداء من العصر الزياني ثم العثماني.

وقد وردت الحمدلة في بعض الكتابات الشاهدية الزيانية والعثمانية، بصيغتها البسيطة في معظم الكتابات (**الحمد لله رب العالمين، أو الحمد لله تعالى**)، ولكن استهلكت أحيانا بصيغ مركبة مع التصليية أحيانا في شاهد زياني مؤرخ عام 950هـ./ 1544م، صيغتها كالتالي: (**الحمد لله كما يجب لجلاله والصلاة على سيدنا ومولانا محمد وآله**)، أو مركبة في صورة دعاء كما ورد في شاهد زياني آخر مؤرخ في عام 770هـ./ 1369م (**الحمد لله الذي أخرجنا بلطفه وكرمه من أكنة غياهب الظلم وشرف قدرنا بشفاعه سيد العرب والعجم صلى الله عليه وشرف وكرم**)، وتعدّ هذه الحمدلة المركبة من أطول وأغنى هذه الصيغ في المغرب الأوسط على مد تاريخه الطويل. وفي إحدى كتابات المنصورة وردت بصيغة تركيبيية أيضا "الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين. ومن كتابات قسنطينة وصلتنا كتابة كانت منقوشة على أحد جدران مدرسة الجامع الأخضر بقسنطينة تحمل الحمدلة³. ومن جامع سيدي عقبة وردت إلينا كتابة

1- الفلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1987/1407، ص. 216.

2- الفلقشندي، نفسه، ج. 6، ص. 216.

3- دحدوح عبدالقادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانبة أثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د/ عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، 2010/2009، (غ.م)، ج. 2، ص. 790.

حمدلتها كآلآتي: (الحمد لله وحده لا شريك له له الحمد وله الشكر وهو على كل شيء قدير).

- **التَّصْلِيَةُ**: وتعدّ هذه الصّيغة الدّينية من ضمن أكثر هذه الصيغ التي استعملت في معظم الكتابات العربية بدون استثناء منذ القديم. وتأتي التّصلية والتسليم مباشرة بعد البسمة، ومن الامور الملفتة للانتباه غياب الصلاة الإبراهيمية في هذه العنصر. وأول تّصلية جاءتنا من أقدم كتابة في المغرب والأندلس وهي كتابة عبد الرحمن بن حيوة الحضرمي الحمصي المؤرخة عام 126هـ محفوظة في مسجد سيدي عقبة ببسكرة بالصيغة الآتية: **(اللّهم صلّ على محمد النّبي بن عدنان)**، ثمّ جاء بالتّصلية على صاحب القبر وعلى من يصلّي عليه بالصيغة الآتية: **(صلى الله عليه ورحمه وصلى على من يصلي عليه)**، وهذه التّصلية لا تخص النبي صلى الله عليه وسلم ولكن تخص الميت. وقد تعددت صيغتها في هذه الفترات التاريخية من كتابة إلى أخرى، على أن أصل التّصلية ثابت ولم يتغير، وما تغير فيها إلا اسم النبي، أحيان يذكر باسمه "محمد" وأخرى "الرسول"، وثالثة بـ "النّبي". وأحيانا يضاف إليها التسليم على النبي وآله. ففي العصر الزياني وظف هؤلاء التّصلية بالصيغة التي وردت عند الحماديين والمرابطين، إلا أنهم وظفوا صيغة مخالفة لهم في كتابة شاهدة مؤرّخة في عام 921هـ/1418م، بالصورة الآتية: **(والصلاة والتسليم على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين)** وأطول صيغة للتّصلية هي: **وصلى الله على سيدنا (نبينا) محمد وعلى آله وصحبه (الطيبين) وسلم تسليما**. وأقصرها: **"وصلى الله على محمد"** ويلاحظ أن التنوع والتعدد في صيغة التّصلية نلمسه في معظم الكتابات الدينية والتسجيلية والشاهدية وفي كل الفترات التاريخية بدءا من كتابة ابن حيوة المؤرخة في القرن الثاني الهجري إلى نهاية العصر العثماني. وفي العصر العثماني وظفت التّصلية بصيغة تختلف إلى حد ما مع التّصلية الحمادية والمرابطية ، ففي العهد العثماني أصبحت صيغتها كما يلي : **(وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كتبه أحمد بن علي"** ويلاحظ اختلاف صيغة التّصلية العثمانية مع تلك التي وظفها الحماديون، ويبرز الاختلاف في إضافة كلمة مولانا والحوالقة.

- **شهادة التوحيد**: وردت شهادة التوحيد في الكثير من الكتابات الشاهدية على وجه الخصوص التي تعود لفترة العثمانية سواء في قسنطينة أو في الجزائر العاصمة، وكذلك في بعض الكتابات الدينية في المساجد على غرار جامع سيدي الكتاني بقسنطينة، واستعمال هذه العبارة استجابة للحديث النبوي الشريف الذي رواه الترميذي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كالجذماء)**¹. وقد جاءت صيغة التشهد في الكتابات الشاهدية العائدة للفترة الإسلامية بعدة صيغ منها البسيطة: **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** وفي شواهد أخرى أخذت صيغة أخرى أكثر تطور من الأولى بحيث تخللتها عبارات دينية أخرى **(لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله)**، وفي كتابة شاهدية أخرى عثمانية من مدينة الجزائر، أضيف للشهادة الأخيرة عبارة أخرى **(لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين)**. وفي كتابة أخرى من نفس المدينة من مجموعات المتحف الوطني للآثار القديمة جاءت صيغتها بالشكل الآتي: **(لا إله إلا الله محمد رسول الله الأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله)**. يذكر أن عبارة "الأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله" شعار سياسي اتخذه الموحدون على سكتهم وضربوه على نقودهم الفضية. وفي كتابة أخرى من نفس الفترة وردت بصيغة مركبة أيضا تنتهي بالتصليية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم **(لا إله إلا الله محمد رسول الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم)**. وفي كتابة أخرى من نفس العصر محفوظة بالمتحف الوطني للآثار وردت بالصيغة الآتية: **(اللهم إني أعهد إليك عهدا في هذه الحياة الدنيا بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وأشهد أن سيدنا محمد عبدك ورسولك)**.

- **دعاء نهاية قراءة القرآن**: وجد هذا العاء منقوشا على بعض شواهد القبور الزيبانية في ختام الآية القرآنية مباشرة، وجاء بصيغة واحدة وهي: **(صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ونحن على ذلك من الشاهدين)**. ولم يوظف هذا الدعاء في أي عصر آخر.

1- الفلقشندي، المرجع السابق، ج. 7، ص. 217.

- الصيغ القرآنية:

لقد تنوعت الآيات القرآنية الموظفة في الكتابات العربية بالجزائر وتعددت بحسب طبيعة المقام الذي وجدت فيه. كما اختيرت هذه الآيات بعناية فائقة وكبيرة حتى تكون متوافقة ومنسجمة موضوعيا مع الموقع الذي توجد فيه وتؤدي رسالة المرجوة منها. ففي المساجد تكثر فيها الآيات القرآنية التي تحث المؤمنين على التزود بالتقوى والإكثار من الذكر والتقرب إلى الله بالعبادات والنوافل وقراءة القرآن والدعاء، والتفكير في أمور الآخرة وعدم الانشغال بالأمور الدنيوية. بينما الآيات التي نقشت على الشواهد فتختلف عن الأولى بموضوعاتها وأهدافها، إذ تدعو إلى التفكير في أمور الآخرة عوض الدنيا، والاتعاظ بالموت¹.

ومن الصيغ الدينية التي وظفت في كتابات الجامع الكبير بقسنطينة ومصلى قصر المنار بالقلعة من العهد الحمادي نذكر على سبيل المثال لا الحصر سورة الفاتحة²؛ وسورة البقرة، الآيات 155، 156، 255 آية الكرسي؛ ومن سورة الأحزاب إختيرت الآيات 41-42-43 بداية من "يا أيها الذين آمنوا...إلى وكان بالمؤمنين رحيما)، ومن سورة الرعد الآيات 28-29، وآخر آية من سورة النحل 128 "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. هذه الآيات اختيرت لمحتوى موضوعاتها لتزيين واجهة محراب الجامع الكبير بقسنطينة، والتي نقشت بخط كوفي بأسلوب الحفر البارز. علاوة على الآيات 18-190-191-192 من سورة آل عمران التي تزين أقواس قبة محراب الجامع نفسه (إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا عذاب النار* ربنا إنّك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار). ومن نفس السورة وظفت الآيتان 19، 85 في كتابة تسجيلية مرابطية تزين منبر هذا الجامع وهو

1- عن هذه الآيات ينظر: عبد الحق معزوز، الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، 2002.

2- عبد الحق معزوز مظاهر التطور في الكتابات الكوفية على النقائش في الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغبة الجزائر ص211، 2003.

محفوظ في المتحف الوطني للآثار القديمة¹ وحول أحد النوافذ على يمين محراب الجامع نجد شريط كتابي كوفي يطوق حافة النافذة، نقشت عليه الآية 39 من سورة الأنعام². وفي جامع القلعة وظفت معظم هذه الآيات في محرابه بالإضافة إلى آيات أخرى من سور أخرى مثل سورة الإخلاص التي رأيناها في كتابة الشواهد الحمادية والفاتحة والصفات الآية 102، ومن سورة النور وظفت الآيتان 36، 37، كما وظفت الآية 36 من النور في كتابة تأسيسية لمسجد خير الدين بالجزائر من العهد العثماني محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر. ومن الأنعام اختيرت الآية 59، 68. كما وظفت الآيتان نفسها في العهد المرابطي في شريط كوة محراب الجامع الكبير بتلمسان، وغيرها من السور والآيات. الآية 85 آل عمران. (ومن يبتغ غير الإسلام...) (آل عمران 190).

وفي العهد المرابطي وظفت آيات أخرى من سورة آل عمران في الجامع الكبير بتلمسان، نقشت على واجهة المحراب ألا وهي الآيات 18، 19 (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قاما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم * إن الدين عند الله الإسلام...)، وكذلك الآية 85 من نفس السورة (من يبتغ غير الإسلام دينا فن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، كما وظفت عدة آيات من سورة الأعراف تزين طرة محراب نفس الجامع، 54، 55، من (يغشى الليل النهار.. إلى.. إنه لا يحب المعتدين)، والآيات 204، 205، 206، من سورة الأعراف نقشت على نص تأسيسي مرابطي تزين الباب الخشبي لمقصورة الجامع الكبير لتلمسان نقشت بخط كوفي بأسلوب الحفر البارز. وتبدأ من (وإذا قرئ القرآن إلى آخر آية في السورة، أي، وله يسجدون). وتجدر الإشارة إلى أن الآيات 204، 205 من سورة الأعراف وظفت أيضا في إحدى الكتابات الموحدية التي عثر عليها في ضريح سيدي التواتي ببجاية. كما وظف الموحدون أيضا الآيات 101-102-103 من سورة الأنبياء في كتابة نفس الضريح على بلاطة رخامية كبيرة، بدء من (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی،،، إلى غاية هذا يومكم الذي كنتم توعدون)³.

1- عبد الحق معزوز الكتابات الكوفية في الجزائر، ص.ص. 200-210.

2- عبد الحق معزوز، نفسه، ص.ص. 167-175.

3- عبد الحق معزوز، الكتابات الكوفية في الجزائر، ص.ص. 259-262؛ وأنظر كذلك: وليام ودورج مارسى،

Les Monument Arabe de Tlemcen, Fontemoring, Paris, 1905, P. 178 ss.

ووظفت الآية 205 من سورة الأعراف في كتابة طرة محراب جامع سيدي أبي الحسن بتلمسان التي تعود للعهد الزياني .

وفي العهد المريني نقشت الآيات 238، 239، من سورة البقرة بخط كوفي معماري بارز على واجهة محراب جامع سيدي أبي مدين شعيب (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين* **فإن خفتم فرجالا أو ركبانا فإذا أمنتم/... فمن تمتع بالعمرة إلى الحج** (196)). ومما تجدر الإشارة إليه أنّ كاتب نص هذه الكتابة قد اختلطت عليه الآيات فعوض أن يكمل الآية 239 من سورة البقرة انتقل إلى الآية 196 من نفس الصورة وهي سابقة لهذه الآيات.¹

وفي العهد العثماني وظفت آيات من الذكر الحكيم في جامع كتشاوة محفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر منها آخر آية 37 من سورة آل عمران، ومن سورة الفتح وظفت الآيتان 1-2 في تزيين نفس المسجد، وكذلك الآية 18 من سورة الجن، وجزء من الآية 108 من سورة التوبة، والآية 238 من سورة البقرة، كال هذه الصيغ القرآنية كانت تزين جدران ومحراب جامع كتشاوة وهي منقوشة بخط النسخ². علما أن هذه الآية وظفت في كتابات المرينيين بتلمسان في جامع سيدي أبي مدين. ومن الجامع الكبير بالجزائر العاصمة جاءت كتابة دينية محفوظة الآن بالمتحف المذكور يعتقد أنها تعود لفترة متأخرة عن تاريخ التأسيسه نظرا إلى الأسلوب اللين الذي نقش به الخط والذي لم يكن مستعملا في العهد الذي تأسس فيه المسجد ألا وهو العهد المرابطي وربما تكون قد من عهد الزيانيين نفذت عند بناء المئذنة التي بنيت في العصر الزياني، وهي مأخوذة من سورة النساء من آخر الآية 103.³ ومن الآيات الموظفة في مساجد قسنطينة وردت الآية 36 من سورة النور بجامع سوق الغزل كانت تزين واجهة المحراب، ونفس الآية نجدها تزين أعلى مدخل زاوية حنصلة وبجانبتها 103 من سورة النساء وهي (إن الصلاة كانت على

1- عبد الحق معزوز نفسه 284؛ وأنظر كذلك: بورويبة رشيد، *l'art Religieux Musulman en Algérie*, SND, Alger 1973, P. 174.

2- Colin (G.), *Corpus des inscriptions Arabes et Turques, département d'Alger*, Paris, 1901, p. 168.

3- Colin (G.), *op.cit.*, p. 169 -3.

المؤمنين كتابا موقوتا). ويلاحظ أن هذه الآيات السابقة الذكر نجدها تتكرر في جميع المساجد المراحل التاريخية . وأما في جامع سيدي الكتاني بقسنطينة فقد وظفت فيه لأول مرة آيات من سورة هود، ولم توظف في أي مسجد آخر، وهذه الآيات هي: 114-115 من سورة هود نقشت بداخل كوة المحراب، بداية من (وأقم الصلاة... إلى غاية الله لا يضيع أجر المحسنين). وفي حنية محراب مدرسة الجامع نفسه نقشت كتابة دينية أخرى مستلة من سورة البقرة الآية 103، وهي عبارة عن دعاء وهذه الآية لم يسبق أيضا أن وظفت من قبل في المساجد المدروسة.

وأما الكتابات الشاهدية فقد تعددت الآيات والسور التي وظفت على الشواهد سواء في العصر الحمادي أو في العصر الزياني أو العثماني. وبالعودة إلى العصر الوسيط لدينا أول شاهد قبر يعود إلى بداية القرن الثاني الهجري محفوظ في جامع سيدي عقبة ببسكرة بالرغم من عدم احتوائه على القرآن إلا أنه يعد أنموذجا للكتابات الشاهدية في المغرب العربي والأندلس باعتباره أول شاهد في هذه الرقعة الجغرافية. وأما العصر الزياني في المغرب الأوسط فلم يبق لنا منه سوى كتابة شاهدية واحدة تتضمنت آية قرآنية ولدينا شاهدين فقط من هذا العصر أحدهما محفوظ بالمتحف الوطني للآثار مؤرخ في عام 413هـ.¹، الثاني موجود في ضريح سيدي عقبة يحمل اسم صاحب الضريح.

وأما كتابات العصر الحمادي فقد منحتنا مجموعة لا بأس بها من الشواهد القبرية بعضها من القلعة والبعض الآخر من مدينة بجاية، لكن الملفت للنظر هو أن الحماديين لم يوظفوا في شواهد قبور موتاهم إلا آية واحدة وسورة واحدة، فأما الآية فهي مأخوذة من سورة آل عمران الآية 185 (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). على أن هذه الآية لم تنقش كاملة في بعض النقوش كمثلها هو الشأن في أول كتابة شاهدية حمادية

1- Marcais (G.), recherches d'archéologie musulmane, Achir, Revue Africaine, T63, publier par la société Historique Algérienne, Alger, 1922, pp. 21-38؛ وأنظر كذلك: عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص. 36-38.

مؤرخة عام 488هـ، حيث اكتفى صاحب النص ببداية الآية "كل نفس ذائقة الموت".¹ كما تضمن أحد الشواهد سورة لإخلاص من بجاية.

وقد وظف الزيانيون نفس الآيات والسور في كتابات شواهد قبور موتاهم علاوة على آيات أخرى، كما استعمل الزيانيون والعثمانيون الآية 88 من سورة القصص، ووظف الزيانيون من سورة الزمر الآية 52، 53، ومن سورة غافر الآية 65. وغيرها من الآيات لا يتسع المجال لذكرها جميعا مثل سورة الاخلاص التي تكررت كثيرا، وأواخر آيات سورة الكهف، من الآية 107 إلى 110، ومن سورة آل عمران الآية 185. وفي كتابة شاهدة أخرى وجد دعاء غريب إلى حدّ ما، دعاء بلسان صاحب القبر، وبعد تقديمه الوعظ لزائري القبر يدعو لنفسه بلغة دارجة قائلا: (أيلاه الخليق الطف بعد عاد بعد الثنا؟ إليك فقير) وصيغة ثانية لدعاء آخر من نفس الفترة الزمنية بلسان المتوفي يقول فيه: (يارب إن ذنوبي في الورى كثيرة وليس لي حمل في الشر ينجنيني وقد أتيتك بالتوحيد بصحبة حب النبي وهذا القدر يكفيني فرب.....(ا)لآخرة...../.

وأما كتابات شواهد الفترة العثمانية في قسنطينة فقد وظف فيها عدد لا بأس به من الآيات المقتبسة من عدة سور سنكتفي بذكر أهمها كآية 19، 185 من سورة آل عمران في أحد شواهد الفترة العثمانية، والآية 67، 68، 74، من سورة ص، والآية 67 من سورة هود، والآية 36 من سورة النور...الخ.

- الأدعية: يعدّ الدعاء من أهمّ وأبرز العناصر والصيغ التي احتوت عليها الكتابات العربية بالجزائر والعالم الإسلامي، ولا سيما في الكتابات التذكارية أي التأسيسية والشاهدية، بحيث لا يكاد يخلو نقش من هذه النقوش إلا يحمل دعاء أو أكثر، وقد اختلف دعاء شواهد القبور عن دعاء التأسيس، إذ اقتص الأول في عمومها بطلب الرحمة والمغفرة والفوز بالجنة للميت، والدعاء لمن يدعو إليه أحيانا، وقد وردت فيه صيغ عديدة ومتنوعة وخاصة في العهد الزياني. بينما اقتص الثاني بالدعاء بالسعادة ودوام الملك والمغفرة لصاحب الإنشاء ولمن قام بتنفيذ بنائه أحيانا أو كتب نقيشته أو اشرف على

1- للمزيد ينظر: عبد الحق معزوز، المرجع السابق، ص. 49 وما بعدها.

تنفيذه أحيانا أخرى، وتجنبنا للتكرار، سنكتفي بعرض أهم النماذج لهذه الأدعية في كل عصر من العصور.

ففي أول نقيشة شاهدة من القرن الثاني الهجري باسم عبد الرحمن بن حيوة الحضرمي (126هـ.) جاء الدعاء فيها بصيغة التصلية، وصيغتها "صلى الله عليه ورحمه وصلى الله على من يصلي عليه". وهي صيغة غريبة لم تعدها الكتابات الأثرية العربية من قبل حسب معرفتي واطلاعي، حتى وإن وجدت فهي قليلة لا تعد على أصابع اليد الواحدة.

في العصر الحمادي نجد أطول صيغة للدعاء في أحد شواهد القبور يحمل اسم أبو بكر بن يوسف المؤرخ في عام 512هـ.، محفوظ بالمتحف الوطني للأثار بالجزائر، وصيغته كالآتي: (رحم الله من دعا لصاحبه بالرحمة)، كما استعملت صيغة أخرى في شاهد حمادي من بجاية يحمل اسم محمد بن عبد الرحمن الدكمي 533هـ. (رحمه الله ورحم والديه).

وفي العصر الزياني استعملت الصيغة البسيطة للدعاء على معظم شواهد قبورهم وجاء بصيغ عديدة للميت والزائر والمسلمين عامة "رحمه الله، رحمة الله عليه (ها)". وفي شواهد لامرأة مؤرخ سنة 986هـ جاءت صيغته بالشكل الآتي: "قدس الله تربتها ورحم غربتها". كما استعملت صيغ أخرى في شواهد نفس الفترة مثل "عرفنا الله خيره وعافانا شره". وفي شاهد آخر مؤرخ سنة 750هـ./1348م "تغمده الله بغفرانه وأسكنه دار رضوانه" وفي شاهد آخر من نفس العصر يعود للأسرة المالكة وردت صيغته مختلفة تماما على ما ألفناه في الكتابات السابقة "برد الله ضريحه وغفر له بمنه وكرمه وجوده"، وفي شاهد آخر لسيدة زيانية ورد الدعاء فيه كما يلي "برد الله ضريحها وأسكنها من الجنة فسيحها وقدس تربتها وجدد رحمته عليها بمنه وجوده وكرمه" ... الخ.

وفي العصر العثماني وظفت صيغ بسيطة للدعاء المعروف والمشهور (رحمه الله ورحم جميع المسلمين، ورحمة الله عليه، و برد الله ضريحه في جامع بقسنطينة، وتغمده الله برحمته في زاوية الأزهرية، وفي كتابة أخرى بقسنطينة جاء الدعاء بالصيغة الآتية "غفر الله ذنوبه وستر عيوبه". وفي أحد الشواهد المحفوظة في المتحف الوطني للأثار عثرنا على كتابة بها دعاء بصيغة مخالفة لما سبق ذكره". والطف بعبدك في

الدارين إن له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم" وهو جزء من قصيدة البردة، كما ورد الدعاء بصيغة الترحم على الميت وعلى من يقف على قبره أو يدعو له بالرحمة، ففي إحدى الكتابات ورد الدعاء بلسان المتوفى يقول فيه "يا واقفا على قبري يسر الله له حسن الخاتمة من لم ينساني بقراءة الفاتحة) (ويقصد بقراءة الفاتحة الدعاء له بها. كما وردت أبيات من البردة كدعاء في بعض الشواهد العثمانية بالجزائر على لسان الميت، حيث وظف بيت شعر للبصيري يقول فيه: "يا رب واجعل رجائي غير منعكس لديك واجعل لساني غير منخرم¹. يذكر أن هذه الفترة اشتهرت بكتابة أدعية بلسان الميت. ومن أدعية الترضي على الميت (رضي الله عنه) في ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وفي كتابة شاهد آخر ورد نصه بالصيغة الآتية (قابله الله بعفوه الجميل وبكرمه الجليل). (غفر الله ذنوبه وستر يوم العرض عيوبه) وهذا في شاهد قبر روضة سيدي ناجي بسكرة²... الخ.

وأما الأدعية الخاصة بالكتابات التأسيسية فهي أيضا متعددة، تكون أحيانا وسط النص لما يتعلق الأمر بالدعاء لصاحب المنشأة أو عندما يكون الدعاء خاصا بالمنشأة نفسها، أو بالمشرف أو بالمول ويكون في نهاية النص عندما يكون الدعاء خاصا بالصانع أو المعمار أو كاتب النص. وسنقتصر في هذا البحث على ذكر بعضها لصعوبة حصرها بسبب كثرة عددها وتعدد صيغها لا سيما في العصر الزياني والمريني والعثماني.

ففي العهد الحمادي لم يرد الدعاء في كتاباتها التأسيسية ككتابة جامع قسنطينة والقلعة. وأما العصر المرابطي فقد ورد الدعاء في الجامع الكبير بتلمسان بالصيغة الآتية "أيده الله وأعز نصره وأدام دولته"، و"أدام الله عزهم" وهو موجه للأمير علي بن يوسف والفقير القاضي أبي الحسن علي. الذي أشرف على إتمام البناء، كما ورد بصيغة أخرى "أيده الله ونصره ووفقه" في كتابة مقصورة الجامع نفسه. ولم ينس الكاتب الدعاء لمدينة تلمسان بالدعاء لها بقوله "تلمسان العليا حرسها الله". وفي كتابة جامع ندرومة وردت صيغة الدعاء المنقوش على المنبر بالصيغة الآتية "أدام الله توفيقه وأجزل [سعيه]..."

1- الشاهد محفوظ في المتحف الوطني للآثار القديمة، للمزيد أنظر: Colin (G.), op.cit., p.79.

2- عبد الحق معزوز، لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 143.

وفي العصر الزياني والمريني وردت الأدعية في هذين العصرين بصيغ متعددة ففي منبر الجامع الكبير بالجزائر العاصمة ورد بصيغة "أيد الله نصره"، وبنفس الصيغة ورد في مسجد سيدي الحلوي المريني، وفي جامع سيدي إبراهيم الزياني جاء بصيغة جديدة "كان الله محسنا له" و"جعل الجنة منزلا له". وفي الكتابات المرينية بتلمسان ورد في جامع سيدي بومدين بهذه الصيغة "أيد الله أمره وأعز نصره" وفي كتابه أخرى "كتب الله له به أنفع الحسنات وأرفع الدرجات"، و"تفهمهم الله". وفي كتابه أفريز مدخل نفس المسجد نقرا الدعاء الآتي: "أيده الله بالنصر والتمكين والفتح المبين". وتعدّ أدعية كتابات جامع سيدي أبي مدين من أفضل الأدعية من حيث قوّة بلاغتها ومحتواها وثراء مفرداتها وأسلوبها مقارنة بما سبقها من الأدعية.

وفي العهد العثماني ورد الدعاء بالعديد من الصيغ تبعا لتعدد المنشآت المنجزة في ذلك العصر وهي منشآت دينية ومنشآت عسكرية ومدنية، وذات منفعة عامة كالسلاسيب والمخازن. هذا التنوع صاحبه التعدد في الصيغ وفي المقصد من ذلك "أيده الله ونصره ونفعه"، بجامع صفر بالعاصمة، "أيده الله بالنصر والتمكين والفتح المبين" بتلمسان، و"زاد ظفرا ونصرة" بجامع سيدي عبدالرحمن، "فانصر الله الأمر" في كتابه تأسيسية ببرج الحاج علي). وفي كتابه أخرى بالعاصمة ورد بصيغة "كان الله له ولي" و"يسر الله مراده وبلغه كلّ ما يشاء"، وفي مساجد قسنطينة نجد الصيغ الآتية: "تقبل الله منه" في جامع سيدي القروي، و"حباه ربي بيتا في الجنة وزيادة" بجامع سيدي الكتاني، و"جعل الله سعيه سعيا مشكورا¹ و"جزاه جزاء موفورا" بجامع سيدي لخضر.

- **الشعر:** تضمّنت الكتابات العربية بمواضيعها المختلفة أبيات وقصائد شعرية عديدة جاءت منسجمة ومتناسبة مع طبيعة المكان الذي وجدت فيه والموضوع الذي جاءت في سياقه. وقد تبين لنا من خلال دراستنا لمحتوى ومضامين مختلف الكتابات الأثرية أن هذا الشعر يكون إما رثاء للميت وتمجيذا لخصاله ومناقبه بالنسبة للكتابات الشاهدية. أو مدحا وتمجيذا بخصال الشخص الذي أمر بإنشاء المنشأة أو معماريا أو خطاطا أو منمقا أو مجددا أو مرمما أو ممولا أو مشرفا. فبالنسبة للشعر الرثائي لدينا قصيدة صغيرة من

1- هذه الدعاء مستنبط من الآية 16 من سورة الإسراء، "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم سعيا مشكورا".

ثمانية أبيات لم يبق منها إلا أربعة ترثي فيها الأم ابنا المتوفى في سن 15 عاما نقشت على شاهد قبر يعود للعصر الحفصي عثر عليه في مدينة بجاية تقول فيها:
(ياغائبا عنا يوم سفره * عاجله موته على صغره -- ياقرة العين كنت لي انسا* * في طول ليلي نعمة وفي قصره -- ما تقع العين حيثما وقعت * * في الحي مني إلا على أثره -- شربت كأس أبوك شاربها * * لا بدّ منها له على كبره.
يشربها الآنام كلهم من كان في بدوه أو في حضره --- فالحمد لله لا شريك له بما عجله في حكمه وفي دره¹. كما وظّفت أبيات من قصيدة البردة للبصيري كدعاء في بعض الشواهد على غرار البيت الآتي:

"يارب واجعل رجائي غير منعكس لديك * * * واجعل لساني غير منخرم"². وفي شاهد آخر ورد بيت على لسان الميت يعرض فيه الواقف على قبره بقوله: "يا واقفا على قبري كنت بالأمس مثلك وستصبح غدا مثلي" والبيت عبارة عن موعظة من الميت إلى الأحياء حتى يتزودوا بالتقوى والحذر من مغبة الغفلة.

ولدينا نموذجا آخر من شعر المدح في نص تأسيسي بمئذنة جامع الكبير بالجزائر العاصمة نسوق مقتظا من أبياتها. تتكون القصيدة من ستة أبيات:

نادى المنار المذكور بلسان حاله الحالي * * * أين منار حاله في الحسن كحالي
أقام أمير المسلمين تفافحا * * * كساني بها حسنا وتمم بنياني
وقابلني بدر السماء وقال لي * * * عليك سلامي أيها القمر الثاني
ما يلفت الانتباه أنّ القصيدة جاءت على لسان المنار (المئذنة) الذي بناه الأمير الزياني أبو تاشفين عام 723هـ في الجامع المذكور، وهو يتغنّى بجماله وعلو طلعه ووسطوع نوره³.

1- عبد الحق معزوز، لخضر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج. 1، كتابات الشرق الجزائري، 1421/2000، ص. 45.

2- الشاهد محفوظ في المتحف الوطني للآثار القديمة، للمزيد ينظر: Colin (G.), op.cit., p.79

3- للمزيد حول هذه القصائد، ينظر: يرشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، وينظر كذلك: عبد الحق معزوز، جامع الكتابات الأثرية العربية في الجزائر، ج. 1، ص. 2.

- عبارات وصيغ أخرى: مثل عبارات التقوى والورع وشعارات دينية وأخرى عقائدية مثل (شعار الموحدين) (الله ربنا محمد نبينا المهدي إمامنا). وشعار المرينيين الذين أرادوا به الرد على الموحدين في كتابة بجامع سيدي أبي مدين شعيب (الله ربنا محمد نبينا القرآن إمامنا).

ب- الشاهدية: تتكوّن الكتابات الشاهدية من العناصر الآتية:

الصيغ الاستهلالية:

- البسمة: وردت البسمة في غالبية الكتابات الشاهدية منذ القرن الثالث الهجري وإلى نهاية العصر العثماني، بصيغتها الأصلية "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهي فاتحة كتاب الله وفاتحة كل سورة ما عدا سورة النمل، ويعتبرها الإمام الشافعي¹ آية من القرآن الكريم وقلما توجد كتابة خالية منها. وهي آية من آيات القرآن الكريم، في قوله عز وجل في سورة (النمل/30) (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم).

- الحمدلة: وهي من الصيغ الاستهلالية في الكتابات العربية في جميع أنحاء العالم الإسلامي. من العبارات التي يستحب البدء بها، تعني التوجه إلى الله بالشكر والرضى. وردت بصيغ متعددة أبسطها "الحمد لله" أو أضيف لها عبارات أخرى مثل "الحمد لله وحده" وهذا في معظم الكتابات الشاهدية الزيانية من دون استثناء وفي بعض الكتابات الشاهدية العثمانية أو "الحمد لله كما يجب لجلاله" في نص شاهدي زياني (950هـ/1444م)، كما وردت بصيغة "الحمد لله حق حمده" في نقیشة شاهدة من العصر العثماني (1181هـ./1767م) و"الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين" في الكثير من الكتابات التأسيسية الزيانية والمرينية والعثمانية. ولعل أطول صيغة للحمدلة أضيف إليها صفات ونعوت في كتابات تأسيسية في جامع صفر 941هـ./1534م وردت بالصيغة الآتية: "الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الأرض وفضل بقاعها بعضا على بعض وجعل أفضلها بقاعا تؤدى فيها النفل والفرص".

1- الفلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1407/1987، ص. 216.

- **التَّصْلِيَةُ:** وهي الصلاة على النبي وآله. وقال ابن القيم الجوزية¹ أو الصَّلَاة على النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصل هذه اللَّفْظَةُ في اللغة يرجع إلى معنيين أحدهما الدعاء والتبريك والثاني العبادة. وهي نوعان حسب ابن القيم عامة وخاصة، فأما العامة فهي صلاته على المؤمنين، قال تعالى "هو الذي يصلي عليكم وملائكته" (الأحزاب/43)، والخاصة هي صلاته على أنبيائه ورسوله وخاصة على خاتمهم سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ². ومعنى الصلاة عند جمهور العلماء³ من الله تعالى: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن الأدميين: الدعاء.

وتعد هذه الصَّيْغَةُ الدِّينِيَّةُ من بين الصيغ الأكثر استعمالاً، حيث نجدها في معظم الكتابات العربية بدون استثناء منذ القديم. وتأتي التَّصْلِيَةُ في غالب كتابات المغرب الأوسط مباشرة بعد البسملة، أو تالية للحمدلة، وقد وردت بعدد الصيغ في أول كتابة جزائرية باسم عبد الرحمن بن حيوة (126هـ) وردت بصيغتين مختلفتين (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدِ النَّبِيِّ بْنِ عَدْنَانَ) و(صَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَهُ وَصَلِّ عَلَى مَنْ يَصَلِّي عَلَيْهِ). وفي العصور الموالية للقرن الثالث الهجري حيث تطورت صيغتها وزادت ألفاظها وتتنوعت مضامينها من أبسط صورة لها إلى أكبر صورة من ذلك وردت بالصيغة البسيطة "وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ" في شاهد قبر حمادي مؤرخ سنة (512هـ/1118م) إلى الصورة المتطورة والمكونة من عدة ألفاظ مثلما ورد في كوة محراب جامع قسنطينة (530هـ./1136م): "الصَّلَاةُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا" وفي العصر العثماني وردت التَّصْلِيَةُ بصيغة أطول وأغنى مما كانت عليه في العصور السابقة حيث أضيف إليها الحوقلة ونصها كالاتي: "وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ".

1- ابن القيم الجوزية، كتاب فضل الصلاة على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم من بدائع الفوائد وجلاء الأفهام، أعده صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط. 1، 2009/1430، ص. 54، القاموس المحيط للفيروز أبادي (مادة صلي) (1681).

2- ابن القيم الجوزية، نفس المرجع، ص. 54-55.

3- <http://www.islamicbook.ws/amma/jla-alafham-fi-fdhl-alslat-ala-mhmd-khir-alanam>

بتاريخ: 2018/06/23، 19 سا.

- **شهادة التوحيد:** وردت شهادة التوحيد في الكثير من الكتابات الشاهدية وعلى وجه الخصوص التي تعود للفترة العثمانية سواء في قسنطينة أو الجزائر العاصمة، كما وردت أيضا في بعض الكتابات الزخرفية في المساجد على غرار جامع سيدي الكتاني بقسنطينة. وقد تم توظيف هذه العبارة استجابة للحديث النبوي الشريف الذي رواه الترميذي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء)**¹. وقد جاءت بصيغة التشهد في الكتابات الشاهدية العائدة للفترة الإسلامية بعدة صيغ منها البسيطة وتتمثل في الشهادتين: **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** وفي شواهد أخرى جاءت بصيغة أخرى مخالفة عن الأولى بحيث تخلت الشهادتين عبارات دينية أخرى مثل "الملك الحق المبين" **(لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله)** في بعض الكتابات، وهي إشارة وتعظيم لله سبحانه وتعالى، وهما اسمان من أسماء الله الحسنی. وفي كتابة شاهدية أخرى عثمانية من مدينة الجزائر، أضيف للشهادة الأخيرة عبارة أخرى **(لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين)**. وهنا أيضا إشارة ضمنية لأحدى الصفات والأسماء التي لقب بها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وبعد نزول الوحي، وقد ورد الاسم الأمين في سورة التكوير على النحو الآتي: **﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ 19 ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ 20 مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ 21﴾**.

- **الاستعاذة:** وهي من الصيغ الاستفتاحية ومعناها الاصطلاحي "الالتجاء إلى الله الالتجاء إلى الله عز وجل والاعتصام به والتحصن به من شر كل ذي شر ومن الشيطان الرجيم". وقد وردت الاستعاذة في الكثير من الكتابات الجزائرية وخاصة في النصوص الشاهدية في العصر العثماني وكان يستفتح بها الآيات القرآنية مصداقا لقول الله عز وجل: **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾**. وردت أول مرة في كتابة نافذة الجامع الكبير بقسنطينة (530هـ / 1136م)، ثم وردت في كتابات تأسيسية وشاهدية من العصرين الزياني والعثماني، وفي كتابة زاوية ابن محجوبة (1003هـ / 1594م) بقسنطينة. وجاءت بصيغة واحدة: **"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم"**.

1. القلقشندي، المرجع السابق، ج. 7، ص. 217.

-**الحوقلة:** وردت الحوقلة بصيغة موحدة "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" في كتابتين أو ثلاثة من العهد العثماني. عقب الحمدلة والتّصلية مباشرة.

- الآيات القرآنية وردت في معظم شواهد العصور المدروسة ، وقلما يخلو منها شاهد.
- التعريف بصاحب القبر(المتوفى) بالاسم الكامل وكنيته في معظم كتابات العصور المدروسة وأما الألقاب فنجدها بصفة خاصة في العصر المرابطي والزياني والمريني والعثماني.

- الدعاء في أغلب الكتابات.

- تاريخ الوفاة. في أغلبها نادرا ما يخلو شاهدا من التاريخ، وقد حدث هذا في العصر العثماني.

- توقيع الصانع. (هذا العنصر لا نجده إلا نادرا مثال ذلك كتابة حمادية، وأخرى حفصية).

- **الشعر:** نادرا ما نجده في الكتابات الشاهدية ولدينا أمثلة قليلة على ذلك أوردناها سابقا في دراستنا للشعر وكان هذا في العصر الزياني والعثماني. وهي عبارة عن رثاء أو مواظ للأحياء.

ب- التأسيسية: بالنسبة للكتابات التأسيسية بما في ذلك الوقفية ليس هناك اختلاف كبير بينها وبين الكتابات الشاهدية في الكثير من العناصر الأساسية مثل البسمة والتّصلية والتاريخ والدعاء ووجود آيات قرآنية وأسماء وألقاب وكنى الأشخاص. وإن كان هناك اختلاف ففي صيغ الدعاء، والآيات أو صيغ الاستفتاح، وتتضمن الكتابات التأسيسية العناصر الآتية:

الصيغ الاستهلالية وتتكون من:

- **البسمة:** في غالبية كتبات العصور المدروسة.

- **الحمدلة:** في الكثير من كتابات العصر العثماني.

- **التّصلية:** نجدها في معظم الكتابات بالجزائر مع اختلاف الصيغ.

- **التعوذ:** نجدها في بعض الكتابات العثمانية.

- **الشّهادتان:** انفردت بها بعض الكتابات العثمانية،

- آيات قرآنية: كثيرة وهي في الغالب منسجمة مع طبيعة ونوع الكتابة ففي الكتابات التَّسجيلية نجد الآيات التي تحثُّ على فعل الخير.
 - الاسم الكامل للأمر بالتَّشديد مع كنيته وألقابه.
 - اسم المنشأة: ظهر هذا العنصر وانتشر في العهد العثماني.
 - اسم المشرف والمعني بمتتبع تنفيذ البناء، هذا العنصر لا نجده لا في كتابات قليلة جدا (كتابة جامع ندرومة).
 - الدعاء: وقد شمل كل من كان له يد في البناء من بعيد أو قريب بما في ذلك الأمر والمشرف والممول والمعماري أو البناء، وقد شمل معظم العصور.
 - التاريخ: قلما خلت الكتابات التأسيسية منه.
 - توقيع الصانع: في بعض الكتابات ولكنه شمل كل العصور، اسمه وكنيته ولقبه.
- هذه عموما العناصر التي نجدها عادة في الكتابات الشَّاهدية والتَّسجيلية، مع زيادة أو نقصان أحد العناصر من كتابة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر.
- وأما الصيغ فتختلف كما سبقت الإشارة إلى ذلك في سابق حديثنا عنها من كتابة وأخرى وبين عصر وآخر.
- وأما ما يخص صيغة التعريف بالميت فقد استعملت العبارة الشهيرة الآتية: "هذا قبر". وأما صيغة التأريخ للأثر فقد وردت بشكل عام بالصور الآتية: "توفي في يوم...". أو "توفي يوم...". أو "توفي في شهر في سنة". وأحيانا نجد العناصر الثلاثة معا اليوم والشهر والسنة، كتبت بالحروف في العصر الحمادي والمرابطي والزياني والمريني، ووردت بالحروف والأرقام أو بحساب الجمل في العصر العثماني.
- كما تعددت وتنوعت صيغته، تارة تأتي بصيغة "في بداية أو غرة شهر كذا أو سنة كذا"، وأخرى "في منتصف أو وسط أو نهاية شهر كذا"، أو "في نهاية القرن"، كما استعمل لفظ "خلت من القرن"، أو "مكمل عام" أو "انسلخت أو مضت من شهر كذا أو سنة كذا". ويختم التأريخ بعبارة من "هجرة من له العز والشرف"، "من الهجرة النبوية"، "من بعد هجرة من له الفخر والشرف"، أو "من هجرة صاحب الوفي". هذه عموما صيغة التأريخ كما جاءت في معظم الكتابات العربية بالجزائر، وأغناها وأثراها كان في العصر العثماني.

- صيغ التقوى والتوقيعات: الصيغ الدينية الأخرى نذكر منها عبارات التقوى العديدة التي وردت في الكثير من الكتابات ولاسيما الكتابات الدينية الزخرفية في المساجد الزيانية والعثمانية، منها "بركة محمد" مئذنة المنصورة، "الغبطة المتصلة والبركة الكاملة والسعادة" في المسجد الحلوي كما استعملت عبارات "العز لله، الأمر لله، البقاء لله، العز القائم لله، الملك الدائم كله، اليمن والإقبال، الحمد لله على نعمه أو على نعماته، البركة الكاملة، العاقبة الباقية، العافية الباقية، الشكر لله،". ومن الصيغ والعبارات التي وردت أيضا نذكر على سبيل المثال لا الحصر، عبارات الأمر مثل: أمر ببناء هذا المسجد أو الحصن أو "أمر ببنائه، أو بتشبيده، أو بتجديده أو بتنميته"، كما وردت مصادر أفعال البناء الآتية "بنى، جدد، أسس، عمل، صنع، أقام، أنشأ"...

وأما صيغ الانتهاء من العمل فقد وردت كالاتي:

"تم بعون الله..."، "كمل بناؤه" أو "كمل بناء هذا المسجد" أو "فرغ من صنعه"، "فرغ العمل منه في .."، كما وردت فعل "تمق" في كتابة ضريح سيدي أبي مدين شعيب وفي كتابة تسجيلية بصيغة "تمقه" أحمد بن ... سرمشيق وهو نفسه الذي زخرف مسجد عين البيضاء بمعسكر وضريح سيدي أبي مدين شعيب بتلمسان. عموما فالصيغة تتمحور حول الأفعال "أتم، تم أو تمم، كمل، انتهى، وكان الانتهاء أو الفراغ منه".
وأما توقيعات الصناع فقد جاءت بصيغتين أو ثلاثة في جميع العصور، حيث وردت بصيغة "هذا عمل" أو بصيغة "من عمل"، أو "عمل كذا"، أو انتهى بحمد الله على يد المعلم.

وأما ألقاب الصناع والحرفيين فقد وردت في مختلف الكتابات على الصورة الآتية:
"الصانع، الأسطي، المعلم" وهي ألقاب مهنية كثيرا ما نجدها منقوشة على النقائش العربية.

ومن الصيغ الأخرى التي نجدها أيضا في هذه الكتابات صيغة التعريف بالميت صاحب القبر، وقد وردت بصيغة "هذا قبر..."، أو "هذا اللحد لـ..." أو "توفي..." أو "هذا مشهد...".

هذا وتضمنت الكتابة شعاران سياسيان يتعلقان بعيقة الدولة وسياستها، الشعار الأول تكلمنا عنه سابقا ويتعلق بأحد شعارات الدولة الموحدية الذي طالما نقش على

نقودهم ألا وهو "الأمر كله لله، والله ربنا محمد نبينا والمهدي إمامنا"، والشعار الثاني مريني نقش بداخل شريط على يمين محراب جامع سيدي أبي مدين ونصه كآلاتي: "الله ربنا محمد رسولنا القرآن إمامنا"، وهذا الشعار يدلّ دلالة قاطعة على الرفض التام والمطلق للمذهب المهدي ابن تومرت وإمامته أثناء سقوط الدولة الموحدية ومجيء الدولة المرينية¹، وهذا يدل أيضا على تمسك المغاربة بالمذهب السني على الرغم من المحاولات العديدة للعبدين والموحدين بقيادة المهدي على تشييع أهل المغرب.

- الألقاب العربية الإسلامية:

تعريف اللقب: اللقب في اللغة هو النبر أي ذكر عيوب الانسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ (الحجرات/11)، ثم استعمل اللقب للمدح وأصبح إنه بدعة ممنوعة للتجاوز في الألقاب ووصف الانسان بغير ما فيه². وقيل أن الغاية من اللقب هو تمييز مرتبة الصغير من مرتبة الكبير، والخاص من العام ودرجة الرفيع من الوضيع³. وكان تنظيم الألقاب خاص بديوان الإنشاء⁴ والذي كان يعرف باسم صاحب القلم الأعلى في المغرب، والطغرائي في العصر الفاطمي، وصاحب الرسائل والمكاتبات في العصر العباسي.

تضمّنت الكتابات الأثرية العربية الجزائرية الكثير من الألقاب الإسلامية منها: الألقاب الفخرية لرجال الدولة والحكام مع إضافة نعوت يفوق عددها أحيانا خمسة نعوت. ففي العصر المرابطي ورد لقب يوسف بن تاشفين وابنه علي بلقب أمير مع إضافة نعت إليه "الأمير السيد"، و"الأمير الأجل" في كتابة منبر جامع ندرومة ، وكتابة الجامع الكبير بتلمسان.

ومن الألقاب الوظيفية والدينية في هاته الفترة ورد لقب ديني وظيفي باسم "الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي" الذي أشرف على تولّي إتمام عمل الجامع الكبير بتلمسان المرابطي.

1- للمزيد ينظر: ع. معزوز و ل. درياس، الكتابات الكوفية...، ص. 293-294.

2- مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، 1517هـ. / 1924م، ص. 11.

3- نفسه، ص. 11.

4- حسن الباشا، الألقاب الإسمية في الوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957، ص. 11.

ومن العصر الزياني والمريني وردت عدة ألقاب شرفية خاصة بالحكام ورجال الدولة مثل؛ "مولانا **السلطان** الهمام فخر الليالي والأيام الملك العادل أبو حمو" ولقب ابو يعقوب الزياني بلقب أمير المسلمين تتبعه نعوت كثيرة "أمير المسلمين الملك العادل الأثيل الأصيل الأمجد الأوحد الأسنى الأسهى الأفضل الأكمل مولانا المجاهد في سبيل العالمين، والأمير الشهير الكبير الجليل الكامل مولانا أبويعقوب. "أمير المسلمين"، "أمير المؤمني" وقد تلقب بهما كل من سلاطين الزيانيين والمرينيين كما وردت ألقاب أخرى مثل، "الأمير الجليل الحافل الأصيل الشهيد". وتلقب الكثير من الشخصيات من العهد الزياني والعثماني باللقب الفخري **الحاج، والحاجة، والمرابطة.**

ومن الألقاب الدينية في العصر الزياني والمريني والعثماني وردت عدة ألقاب مثل "الفييه، العالم، الرياني، والمحقق، والمجتهد، والشيخ، والإمام، والمحدث، والواعظ، والمحصل، والمجتهد، الطالب، التالي لكتاب الله، والعلامة المفتي، والإمام القاضي وهي ألقاب دينية وعلمية ووظيفية.

ومن الألقاب الوظيفية ورد لقب "الخياط" في العصر الحمادي، وفي الفترة الزيانية والعثمانية وردت عدة ألقاب مثل لقب الوزير ألحقت به نعوت في كتابة شاهدة زيانية باسم "الوزير الجليل الحافل المشرف بن محمد عبدالله بن عبد العزيز، والمدرس المحقق الشيخ ابو عبد الله العقباني". ولقب "القاضي" أبي يحيى العقباني، وسمي به القاضي أبي العباس أحمد العقباني، ولقب "المفتي" وهو الفييه الإمام العالم المفتي المدرس المحقق وقاضي الجماعة بتلمسان الشيخ أبو عبد الله محمد العقباني، وأطلق لقب "الإمام" على كثير من علماء المغرب الأوسط في العصر الزياني والمريني والعثماني منهم "الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد العقباني"، و"الإمام" أبو العباس أحمد العقباني".

وفي العهد العثماني وردت العديد من الألقاب الوظيفية الدينية والحرفية والتجارية مثل. لقب **الصفار** سمي به أبو عبد الله، ولقب **التاجر** أطلق على "الحاج أحمد الأندلوسي 1048هـ، وكذلك على لحاج شعبان 1048هـ.، ولقب "باش خزندار، والخزناجي، والبستانجي، والشاويش، وقايد الدار، وخديم الباب، القايد، والنجار، والرصاع" هذا الأخير لقب به سرمشيق، ولقب "الصانع، والنقاش، وباشا قبر، باش خزندار، والمعلم،

والبنّاء، والأوساط والإمام، والمفتي، والرايس أي رئيس البحر ومعناه القبطان المسؤول على مجموعة من القطع الحربية في العهد العثماني.

ومن الألقاب العسكرية ورد في الكتابات العثمانية لقب "الآغا، و الفارس، والمجاهد، والغازي، وخوجة الخيل (مكلف بتسيير الخيل وإعداد الجيش).

ومن ألقاب النساء في العهد الزياني والعثماني التي وردت في النقائش الكتابية كثيرة ولكن أشهرها وأكثرها استعمالاً لقب "الآمة" وجاء متبوعاً بنعوت متعددة كآمة الله، وآمة الرحيم، ولقب الحرة، مضاف إليه نعوت كالحرة الزكية، والحرة المصونة، والحرة الجليّة" وهذه كلّها تخص نساء الحكام وعالية القوم في العصر الزياني خاصة ولقب ("العلجة"، ويطلق على المرأة الأوروبية عامة و"المولى" ومعناه الرئيس ولسيد أو العبد، والمرابطة، أو المرابط ويعني الشخص الذي يتنبأ أو يعلم العيب وقد يكون له معنى آخر في مناطق أخرى و"الحاجة، و"الصبيّة"... إلخ.) هذه الألقاب الثلاثة أطلقت على الرجال كما أطلقت على النساء.

ومن ألقاب النسبة المكانية والجغرافية؛ وردت عدة ألقاب، فمن القرن الثالث الهجري (ورد لقبان (الحضرمي، الحمصي)، ومن العصر الحمادي (النقاوسي، التوجي، الدكمي)، ومن العصر الزياني والعثماني (التونسي، السجلماسي، التركي، التلمساني، الوهراني، السطمبولي، الشامي، الميلي، الصفاقصي، القسنطيني، والمغربي).

ومن ألقاب الشرفية في العهد العثماني، التي وردت في مختلف الكتابات الأثرية لقب "الأمير، الباشا، الداى، الباى (بك)، الآغا، الملك، السلطان، الأمير" وكان يضاف لهذه الألقاب نعوت وصفات كثيرة تارة تسبق اللقب وتارة أخرى تلي هذا اللقب مثل "الأمير المرتضى عبدي باشا" الذي كان آغا الصبايحية (1718-1724م)، و"المعظم الأرفع علي باشا باي" أمير المسلمين، أمير المؤمنين، الأمير الأجل".

الخاتمة

من أهم النتائج التي انبثقت من هذا البحث هي:

1- قراءة مضامين الكتابات الأثرية العربية في المغرب الأوسط.

2- حصر محتواها وتحديد طبيعتها.

3- معرفة المواضيع التي تناولتها وعالجتها وهي:

أ- الكتابات الشاهدية وهي التي تتعلق بتسجيل تواريخ الأموات وعددها كبير جدا مقارنة بغيرها، حتى أنه يفوق الأربعمئة إذا ما أحصينا ما هو موجود في المقابر والروضات ولم يتم إحصاؤه بعد. وخاصة مدينة تلمسان التي تحتوي على العدد الأكبر تليها مدينة قسنطينة والجزائر.

ب- الكتابات التذكارية (التسجيلية) وعددها كبير لكنه أقل من الشاهدية، ويقصد بها الكتابات التي تسجل للأعمال الإنشائية المتعلقة بتخليد بناء المنشآت الدينية والتعليمية مثل المساجد والمدارس والزوايا والأضرحة، والمنشآت العسكرية كالثكنات العسكرية والحصون والقلاع والأربطة والمحارس. والمنشآت ذات المنفعة العامة مثل الأسبلة والجسور والطرق.

ج- الكتابات الوقفية وهي التي تتعلق بأعمال خيرية تتمثل في قيام أشخاص بوقف وحبس عقارات (أراضي، محلات)، وأشياء أخرى على مسجد ومدارس وزوايا للاستفادة من عائداتها وقد عثر على الكثير من هذه النقائش في مدينة تلمسان من العهدين الزياني والمريني.

د- الكتابات الزخرفية وهي التي لها بعد زخرفي تتكون من آيات قرآنية وعبارات دينية وحكم وعبر شكل بعضها بأسلوب زخرفي.

كما سمحت لنا هذه الدراسة من حصر مادة الحوامل التي نقشت عليها هذه الكتابات وهي: (الحجارة- الملية، والكلسية، والأردواز، والرخام الأبيض والرمادي والأونيكس، والخشب، والجص).

أ- ومن نتائجها أيضا معرفة مختلف الصيغ التي تضمنتها مختلف هذه الكتابات والتي تكلمنا عنها سابقا ولا بأس من تلخيصها فيما يأتي:

- ب- الصيغ الشرفية وهي المتعلقة بألقاب الحكام مثل السلاطين والأمراء وألقاب والولاة والوزراء وكبار رجال الدولة وعائلاتهم.
- الصيغ الدينية، والتي تتعلق بألقاب علماء الدين.
 - الصيغ الوظيفية، التي تعرفنا على مختلف وظائف ذلك العصر.
 - الصيغ المتعلقة بالألقاب العسكرية، مثل ألقاب الجيش وقادات الجيش.
 - الصيغ المتعلقة بالواضع والتضرع مثل التقرب إلى الله بالأدعية والتّوسل.
 - الصيغ التاريخية ويقصد بها الألفاظ والجمل التي صيغت بها تواريخ المنشآت المعمارية.

البيبلوغرافيا:

- القاموس المحيط للفيروز أبادي (مادة صلى) (1681).

أولا- المصادر:

1- بالعربية:

- ابن القيم الجوزية، كتاب فضل الصلاة على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم من بدائع الفوائد وجلاء الأفهام، أعدّه صالح أحمد الشامي، دار القلم، دمشق، ط. 1، 1430/2009.

- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج.1، دار الثقافة بيروت، ط. 2، 1400هـ/1980.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرآن الكريم)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، عدد الأجزاء 24، مؤسسة الرسالة، ج. 1، ط. 1، لبنان، 2006.

- الفلقشندي (أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1407/1987.

- وليام ودورج مارسي: Les Monument Arabe de Tlemcen, Fontemoring, Paris, 1905.

2- بالفرنسية:

-Colin (G.), Corpus des inscriptions Arabes et Turques, département d'Alger, Paris, 1901.

- Marcais (G.), recherches d'archéologie musulmane, Achir, Revue Africaine, T. 63, publier par la société Historique Algerienne ,Alger, 1922.

ثانيا- المراجع:

- ابن النجيم المصري: البحر الرائق- شرح كنز الحقائق-، ضبطه الشيخ زكريا عميرات، ج. 2، ط. 1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997.

- حسن الباشا، الألقاب الإسمية في الوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، 1957.

- رشيد بورويبة: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية؛ l'art Religieux Musulman en Algérie, SND, Alger 1973.

- عبد الحق معزوز: مظاهر التطور في الكتابات الكوفية على النقائش في الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية- الجزائر، 2003.
- عبد الحق معزوز: الكتابات الكوفية في الجزائر بين القرنين الثاني والثامن الهجريين، مطبعة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 2002.
- عبد الحق معزوز: لخضر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج. 1، كتابات الشرق الجزائري، 1421 / 2000.
- مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، 1517 هـ / 1924 م.
- دحدوح عبد القادر: مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، أطروحة دكتوراه، إشراف أ.د/ عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، 2009 / 2010، (غ.م)، ج. 2.

ثالثا - المواقع الإلكترونية:

- <http://www.islamicbook.ws/amma/jla-alfham-fi-fdhl-alslat-ala-mhmd-khir->

[alanam](#)؛ بتاريخ: 2018/06/23، 19 سا.